



ليكتبوا آياته

## الصنف الثاني من الناس

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ  
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ  
بِالْعِبَادِ (207) }

### "التفسير الإجمالي وترابط الآيات"

هذا هو القسم الثاني من الناس وهم الموفقون الذين باعوا أنفسهم وأرخصوها وبذلوها طلباً لمرضاة الله ورجاء لثوابه، والله -تبارك وتعالى- لا يضيع عمل هؤلاء وبذلهم، فهو رؤوف بالعباد، فهو يرحم عباده فيوفقهم للعمل الصالح، ويثبتهم عليه حتى الممات، ويجازيهم بأحسن الجزاء وأتمه وأوفاه، كما في قوله { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ }

قال سعيد بن المسيب رحمه الله: نزلت في صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه لما خرج مهاجراً فلحق به بعض المشركين، فالتفت إليهم، وقال: قد علمتم معشر قريش أنني أرمى القوم، والله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دلتكم على مالي فأخذتموه، فدلهم على مكان ماله، وأنه تحت عتبة الباب، فرجع القوم وأخذوا مال صهيب كله، فلقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: «ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى» وأنزل الله عز وجل هذه الآية.

هداية .... وتدبر

اخلاص العمل لله تبارك وتعالى أن يكون بذله وسعيه وعمله وإنفاقه لله، ويبذل أعلى ما	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ
---	---

## ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ

عنده طلبًا لجنته، وطلبًا لثوابه وجزائه، وليس ابتغاء الدنيا، أو أن يبتغي مردودًا ماديًا، وعائدًا يعود عليه، أو أن يبتغي ثناء الناس ومدحهم وإطراءهم، أو المنزلة والحظوة في قلوبهم، فهذا هو الذي يكون له الجزاء الأوفى عند الله -تبارك وتعالى، كما قال الله { وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ } [سورة البقرة: 272].

لا بد للإخلاص أن يكون مقيدًا بصحة العمل، على الوجه المشروع، فقد يبذل الإنسان نفسه ابتغاء مرضاة الله، ولكن بعمل فاسد يظن أنه صالحًا، فيؤدي به ذلك إلى خسارة، على خلاف ما كان يقصده ويطلبه. فالذين يتعبدون لله من الصوفية بصلوات وذكر وصيام ما شرعه الله، كصيام نصف رجب وقيام ليلة النصف من شعبان، وذكر جماعي بصور بدعية فهذا كله خسار وهلاك.

والخوارج كانوا يبذلون أنفسهم بزعمهم طلبًا لمرضاة الله، فيقدمون على الموت، ويتهافتون عليه، ولكن على عمل فاسد، وهو قتل الأبرياء وتكفير الناس بلا علم وفقه. لذا لا بد أن يتعلم الإنسان العلم الشرعي، وكيف يتعبد لله بما شرع حتى لا يقع في البدع ويهلك.

## وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ

لم يذكر جزاءه بأن له الجنة، وإنما بين رأفة الله به، فإذا كان الله رؤوفًا بالعباد، فمعنى ذلك أنه سيجازيهم أحسن الجزاء وأوفاه وأتمه.

### بقدر عبوديتك لله، تنال رأفته

لم يقل: والله رؤوف بهم، والأصل أن العرب تختصر الكلام بذكر الضمير، فهذا موضع يصح فيه الإضمار، فجاء بالإسم الظاهر، فقال: { بِالْعِبَادِ } ليبين العلة، وأن رأفته -تبارك وتعالى- تتعلق بأصحاب العبودية لله -جل جلاله، وتقديست أسماؤه، فإذا كنت عبدًا لله تقيًا، نالتك رأفته سبحانه.

## خطاب لأهل الإيمان

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ  
كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ  
لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (208) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ  
بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
عَزِيزٌ حَكِيمٌ (209) }

### "التفسير الإجمالي وترابط الآيات"

بعد أن ذكر الله -تبارك وتعالى- صنفين من الناس، المنافق المغرور بدنياه،  
والمؤمن المستعلي بتقواه، وجّه الخطاب لأهل الإيمان، الذين صدقوا  
بقلوبهم، وأقروا وأذعنوا وانقادوا بجوارحهم فأمرهم بما يجمع القلوب على  
طاعة الله فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} أي: ادخلوا في  
جميع شرائع الإسلام، عاملين بجميع أحكامه، مستسلمين لله من غير تذوق،  
ولا انتقاء، ولا تخير، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر  
المشروع هواه فعله، وإن خالفه، تركه، بل الواجب أن يكون الهوى تبعا  
للدين، وأن يفعل كل ما يقدر عليه من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه  
وينويه، فيدركه بنيته.

ولما كان الدخول في السلم كافة، لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفة طرق  
الشیطان قال: {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ} وهي طرائقه ومسالكه، التي  
يضل بها العباد، ويُدْرِجهم خطوة خطوة، حتى يصل بهم إلى مبتغاه من  
الكفر، والبعد عن الله -تبارك وتعالى- وعبادته وطاعته، والإيمان به  
ثم ذكر السبب في عدم اتباع الشيطان فقال {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} فهو عدو  
ظاهر العداوة، لا خفاء في عداوته.

ولما كان العبد لا بد أن يقع منه خلل وزلل، قال تعالى: {فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ  
مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ} أي: فإن انحرفتم عن طريق الحق، من بعد ما جاءتكم  
الحجج الواضحات، والبيّنات التي لا تدع في الحق لبساً.  
{فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} أي الله {عَزِيزٌ} في ملكه، لا يُغَالِب، فهو  
قادر على أخذكم ومعاقبتكم ومجازاتكم، وهو {حَكِيمٌ} في أمره ونهيه  
وجزائه وأقداره، يضع كل شيء في موضعه .

وهذا من الوعيد الشديد، والتخويف، ما يوجب ترك الزلل، فإن العزيز

الحكيم، إذا عصاه العاصي، قهره بقوته، وعذبه بمقتضى حكمته فإن من حكمته، تعذيب العصاة ومجازاتهم على أعمالهم.

هداية .... وتدبير

خاطبهم باسم الإيمان؛ لأن الإيمان هو الذي يؤهلهم لقبول أوامر الله فلا يتأخر عن الإجابة، فيقول: سمعت وأطعت، كما قال تعالى: { إِنْ مَّا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } [سورة النور: 51].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

قال عَوْنُ بن عبد الله بن عتبة: أَنَّ رَجُلًا أَتَى عبد الله بن مَسْعُودٍ فَقَالَ: اعْهَدْ إِلَيَّ، فَقَالَ: إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَأَرْعَاهَا سَمْعَكَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ بِأَمْرٍ بِهِ أَوْ شَرٌّ بِنَهْيِ عَنْهُ.

فالمقصود أن الإنسان ينبغي له أن يكون ذا همة عالية وذا رغبة في الخير وذا حرص على التدبير والتعقل فإذا سمع يا أيها الذين آمنوا فلينتبه، لأن هذا من مقتضيات الإيمان فإذا أردت أن تكون من أهل الإيمان فافعل هذا الأمر.

ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً

الاستسلام الكامل، فليس لهم أن يتخلوا عن شيء من ذلك، كما قال تعالى { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } [سورة الأحزاب: 36] فلا يكون له اختيار، فلا يصح أن يقول الله الحجاب فرض، فنقول امرأة: أنا لا أقتنع، أو أنا حرة آخذ ما أريد، وأترك ما أشاء؟! فهذا لا يتفق مع الإيمان، الذي يتمرد على شرع الله فليس مستسلمًا، فحينما يُؤمر بتقوى الله تأخذه العزة بالإثم فهذه النفس لا يمكن لها أن تطمئن وتستقر، ويحصل لها الراحة إلا بأن تكون على وفق ما شرع الله، وأراده لها، فهذا الذي يحصل به نعيمها وصلاحها وفلاحها في الدنيا والآخرة.

ولذلك لا حاجة للسؤال: لماذا يجد الإنسان في قلبه وحشة، وألمًا وضنكًا، رغم أنه يتمتع بالمأكولات، والمشروبات، وأنواع الملابس ومتاع الدنيا؟ لأن الجواب معروف وهو أن المتعة الحقيقية والسعادة تتحقق بلزوم الإيمان بشرائعه وشموله، حتى ان لم يجد إلا كسرة خبز وشربه ماء، إلا أنه يجد في قلبه من الراحة والنعيم، كما كان يحصل مع شيخ الإسلام ابن تيمية مع كان فيه من المعاناة والشدة، كان يقول: "إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة"، ولما حُبس ومات في محبسه -رحمه الله- كان يقول: "لو ملأت لهم هذه القلعة -قلعة دمشق- ذهبًا ما كافأتهم على ما تسببوا به"، يعني: لأن الحبس الذي حبسوه فيه كان سبب في انشغاله بالطاعة والخير، والتعلق بالله. وقال ابن القيم: "كان إذا أرفج بنا المرجفون، وساءت بنا الظنون أتيناها، فما أن نرى وجهه حتى يذهب ذلك جميعًا"، وذلك لما يرون من نظرة النعيم على وجهه - رحمه الله، فهذا من أين جاء؟ فهل كان شيخ الإسلام كان يُكثر من المتع واللذات والذهاب هنا وهناك؟ ومن نزهة إلى نزهة، ومن بلد جميل ذي خضرة إلى آخر يتمتع هنا وهناك؟ أبدًا، هو أبعد ما يكون عن هذا، لكن كانت جنته بارتباطه واتصاله بذكر ربه -تبارك وتعالى. فإذا نقص ذلك نقصت طمأنينة العبد وراحته وسعادته، ولو كان يغرق في اللذات الجسمانية والشهوات، ولو كان معافى في بدنه.

كافة: اي يشمل أعمال القلوب كلها، وأعمال الجوارح كلها، وما يتعلق باللسان، فيكون مطبقًا وممتثلًا ومستجيبًا ومؤتمرا بأمر الله.

الإيمان له مقتضيات، فليس هو مجرد دعوى يقولها الإنسان بلسانه، دون أن يكون لها رصيد من الواقع، وحظ من العمل والتطبيق والامتثال، والإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون- شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

## وَلَا تَتَّبِعُوا خَطَاةَ الشَّيْطَانِ

لفظ الخطوات يدل على التدرج خطوة، ثم خطوة، لأن الشيطان وحزبه لا يأتون للناس لأول وهلة، فيطالبونهم بالكفر والإلحاد، ولكنها خطوات، تبدأ بنظرة، وخاطرة، ثم فكرة، ثم بعد ذلك تكون همًا، ثم تتحول إلى عزيمة، ثم يصير ذلك في عمل واقعي في الخارج، فيتدرج معه الشيطان من المعصية إلى الكبيرة، إلى البدعة، إلى الشرك بالله.

والمعصية كالخيط يجرب بعضه بعضًا. ولا بد من الإنتباه لأمر هام أن تزيين الشيطان لكل عبد بحسبه، فكل إنسان يصرفه للذنب بطريقة تناسبه، فيقول لأحدهم: هي نظرة، وماذا عسى أن تؤثر؟ ثم تتبعها نظرات، ويقول لآخر: انظر إلى هذا الفسق، وكيف يفعلون؟، اعرف الباطل الذي هم عليه، ثم انصحهم حتى يكون النصح بحجة، فيجعله ينظر إلى المتبرجات والعاريات بغرض النهي عن المنكر، ثم يتدرج معه الى أن يصير الإنسان عبدًا لهواه، لا يستطيع الانفكاك منه، فيحاول أن يتوب، ولا يستطيع، فيكون صريعًا لعدوه إبليس يقوده حيث شاء، ويتلاعب به تلاعب الصبيان بالكرة.

لذا عليك أن تقطع الطريق من أوله، ولا تقل: أجرب، أو أنظر أو أكتشف أو أتعرف كما يقال، لا تفتح بابًا من أبواب جهنم، ثم بعد ذلك لا تستطيع أن تغلقه، فالله عز وجل يقول: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} [سورة الأنفال:24] قالها الله بعد قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} [سورة الأنفال:24] فقد يريد الإيمان ولا يستطيع، ويريد التوبة ولا يستطيع؛ لأنه أصبح لا يملك قلبه.

## إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

(إن) هذه تدل على التعليل لماذا لا نتبع خطوات الشيطان؟ لأنه عدو لنا، بين العداوة، فإذا كان كذلك فكيف يطاع؟ وكيف يقبل ما يمليه؟ لا بد أن نعرف أن إبليس هو العدو الذي غرر بآدم ليخرج من الجنة، قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا

أَخْرَجَ أَبُوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا  
سَوَاتِيَهُمَا إِنَّهُ يَرَائِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا  
جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ { والمؤمن لا  
يلدغ من جحر واحد مرتين، فهذا يقتضي أن يعامل  
الشیطان معاملة العدو.

فكيف تستجيب له، هو يريد أن تتبرج النساء، وتظهر  
العورات، رغم أنه من النعائم ستر العورات فقال الله  
لأدم واصفًا لنعيم الجنة: { إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا  
تَعْرَى }، كيف تستجيب للشیطان وهو يريد أن تعصي الله  
وتسمع المعازف، فهي مزمارة، وتشرب المسكر،  
فيذهب عقلك فتفعل الفواحش، وتنظر إلى الحرام، وتترك  
الصلاة؟!.

من ابتلي بالوسوسة في الصلاة فهو يعيد الصلاة، أو يعيد  
الطهارة مرة بعد مرة، فكيف يستجيب لنصائح عدوه  
الشیطان، وهو يلعب به بهذه الطريقة، حتى يفوت عليه  
خير كثير، وتفوته صلاة الجماعة، وربما يفوته الوقت،  
وتتحول الصلاة إلى عبء ثقيل، يشقى معه، كل ذلك  
لاستجابته وقبوله لما يشير به الشيطان، ويدعو إليه،  
والحل: لا حاجة لأن تفتش وتبحث فيما يتعلق بالطهارة  
عند وجود الشك، والقاعدة: أن الشكوك إذا كثرت  
طرحت، يعني لا يلتفت إليها، ولا يحتاج مع ذلك إلى  
سجود سهو، ولا إعادة، وكذلك فيما يتعلق بالطهارة،  
فالأصل أن اليقين لا يزول بالشك، فالطهارة يقين  
فلا يزول هذا اليقين بمجرد الشك فيه، وكذلك بعد الفراغ  
من العبادة فإن الشك في العبادة بعد الفراغ منها لا يؤثر،  
ولا قيمة له.

من زلّ وانحرف بعد أن تبين له الحق، فهو متوعد  
بالعقوبة، وأبهم العقوبة لبيان عظمها، فعقوبة العالم  
بالحق أعظم وأشد من عقوبة الجاهل به؛ ولهذا فإن الله -  
تبارك وتعالى- يقول: { لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ  
عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ }  
[سورة المائدة: 63]

فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ  
بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ  
الْبَيِّنَاتُ



فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
عَزِيزٌ حَكِيمٌ

ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين ليدل على المؤاخذه والمعاقبة والجزاء، فإن العزيز هو الذي لا يُغالب، فهو قادر على أخذ هذا المسيء الذي قد أعرض عن الحق وتركه بعد وضوحه، وظهور دلائله، فلم يكن ذلك عن جهل وخفاء للحق؛ والله حكيم يضع الشيء في موضعه، فلو عاقب المذنب فيكون ذلك جزاءً وفاقاً على تقصيره، فالأسماء الحسنى التي تذكر في خواتيم الآيات لها مناسبة بمضمون وموضوع الآية.

الصيغة صيغة خبر، لكنه ليس مجرد خبر، بل في طياته الوعيد، كقول من يتوعد غيره: إن خالفتني أو عصيتني فأنت تعرفني، فذلك وعيد أكيد بل أبلغ وأشد من الإنشاء.

## خطاب لأهل الكفر والفساق

{ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ  
فِي ظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ  
وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ  
الْأُمُورُ (210) }

### "التفسير الإجمالي، وترابط الآيات"

ثم تغير الأسلوب إلى هؤلاء المفسدين وخاطبهم بأسلوب الغائب تخويفاً لهم { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ } هذا فيه من الوعيد الشديد والتهديد ما تنخلع له القلوب، يقول تعالى: هل ينتظر الساعون في الفساد في الأرض، المتبعون لخطوات الشيطان، النابذون لأمر الله إلا يوم الجزاء بالأعمال، الذي به من الأهوال والشدائد والفضائع ما يقلقل قلوب الظالمين، ويحق به الجزاء السيئ على المفسدين وذلك أن الله تعالى يطوي السماوات والأرض، وتكور الشمس والقمر، وتنزل الملائكة الكرام، فتحيط بالخالق، وينزل الباري [تبارك] تعالى: { فِي ظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ } والغمام هو السحاب الأبيض الرقيق؛ وذلك في يوم القيامة ليفصل بين عباده بالقضاء العدل فتوضع الموازين، وتنشر الدواوين، وتبيض وجوه أهل السعادة، وتسود وجوه أهل الشقاوة، ويتميز أهل الخير من أهل الشر، وكل يجازى بعمله، فهناك بعض الظالم على يديه إذا علم حقيقة ما هو عليه.

هداية .... وتدبير

الاستفهام بمعنى النفي؛ يعني ماذا تنتظر إلا عقوبة من الله؟ جاء به بصيغة الغائب تبعيداً لشأنهم ومرتبتهم، حيث عبر عنهم بهذه الصيغة، أما أهل الإيمان فوجه الخطاب إليهم مباشرة، وهذا فيه

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ  
يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ

تسليية للنبي ﷺ، وتجديد الخطاب، وتلويينه فيه تنشيط للسامع.	
من أنزل حاجته بالله فُضيت فإليه المرجع في كل أمر فالتوكل والإستعانة والإلتجاء لله، ومن أنزل حاجته بغير الله وُكل إليه.	وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
هذا عزاء لكل المظلومين والمقهورين والمسلوبين حقهم، أن ثمة موعد تُسترد فيه المظالم ويُقضى فيه بين الخلائق.	

### صور من إفساد الكفار وتحذير المسلمين من سلوك منهجهم

{سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ  
آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ  
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
الْعِقَابِ (211) }

#### "التفسير الإجمالي، وترابط الآيات"

حينما ذكر حال هؤلاء من المتأخرين عن قبول الحق: أنهم ماذا ينتظرون إلا مجيء الرب -تبارك وتعالى- لفصل القضاء، وعند ذلك يندمون؟! ذكر بعد ذلك ضرباً من هؤلاء المنحرفين المبدلين الكافرين، وهم بنو إسرائيل، فهؤلاء ذكرهم تسليية للنبي ﷺ، ومن أجل أن يعتبر بهم المخاطب، أو السامع، فقال تعالى {سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ} أي سل -أيها الرسول- بني إسرائيل المعاندين المكذبين لك كم أعطيناهم من آية واضحة في كتبهم، تهديهم إلى الحق، فكفروا، وأعرضوا، وحرفوا الكلم عن مواضعه، فكانوا مبدلين الحق بالكفر والتحريف والإعراض بعد قيام الحجة، ومثل هؤلاء فإن الله -تبارك وتعالى- قد توعدهم بأشد العقوبة، فقال: {وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} قال الشيخ السعدي: وسمى الله تعالى كفر النعمة تبديلاً لها، لأن من أنعم الله عليه نعمة دينية أو دنيوية، فلم يشكرها، ولم يقر بواجبها، اضمحلت عنه وذهبت، وتبدلت بالكفر والمعاصي، فصار الكفر بدل النعمة، وأما من شكر

الله تعالى، وقام بحقها، فإنها تثبت وتستمر، ويزيده الله منها.

### هداية .... وتدبير

يعظم ويقبُح ممن جاءت البيّنات والأدلة الواضحات،  
والعلم الصحيح أن يقع منه النكوص والتبديل والتحريف  
والإعراض.

فمن أنعم الله -تبارك وتعالى- عليه بنعمة دينية كأن يعمل  
بخلاف الحق، أو يبدل الحق، أو يكذب على الله -تبارك  
وتعالى- فينسب إليه وإلى دينه ما ليس منه، فيكون ممن  
يحرّف الكلم عن مواضعه، أو يبدل نعمه دنيوية وذلك  
باستخدامها في معصية الله، فيكون جزاءه زوال هذه  
النعمة عنه، والواجب عليه أن يشكر هذه النعمة، لا أن  
يقابل ذلك بالكفران.

يدخل في نكران النعم ما وقع لقوم سباً {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ  
بَيْنَ أَسْفَارِنَا} [سورة سبأ: 19] فالقري كانت متجاورة، ولا  
يحتاجون إلى التزود للذهاب من قرية إلى أخرى، وكانوا  
في أمن، ومع ذلك طلبوا المشقة والتعب، وأن يذوقوا طعم  
السفر الذي هو قطعة من العذاب، فهذا كفران للنعمة.  
ويقع كثير من الناس في جحود نعمة الله عليهم، فيشتكون  
دائمًا، ويتذمرون، ويدّعون الفقر وقلة المتاع الدنيوي،  
وهم في خير وعافية من الله وربما يشتكي الإنسان  
المرض والعلّة، ونحو ذلك، وهو في عافية من الله -تبارك  
وتعالى، وربما يشتكي أمورًا تنغص حياته، وهو في  
حبوحة من العيش، فهو لا يشكر هذه النعم، وربما  
يستعملها في غير وجهها الصحيح من الإسراف والتبذير،  
ويتقلبون في النعم، ولا يشكر الله -تبارك وتعالى- على  
ذلك، وهناك بلدان لاتجد لقمة العيش.

وعيد لكل من بدل نعمة الله من بعد ما جاءته ولم يقل: فإنه  
شديد العقاب، فأظهر لفظ الجلالة في مقام يصح فيه

مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ  
اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا  
جَاءَتْهُ

فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
الْعِقَابِ

الإضمار، لتربية المهابة، ولا شك أنه أفخم وأعظم وقعًا  
في النفوس والقلوب لدى السامعين، فيوجب الخوف منه  
ومراقبته